ويعلل بعضهم ذلك بعلة الجو والمناخ حيث يتيسر للعربى أن يفتح صدره للهواء ولا يتيسر ذلك لأبناء البلاد الباردة ، وحيث يحتاج العربى إلى النداء فى الصحراء ولا يحتاج إليه سكان المدن والأودية المتجاورة ، ومنهم من يحسب أن بعض مخارج الأصوات التى تشبه القاف والخاء والعين مألوفة فى مسامع الرعاة الذين استمعوا طويلا إلى أصوات الأبل والضأن وأصوات السباع فى الفلوات ، وهو تعليل يقال ولا نظنه يفسر انفراد اللغة العربية ببعض الحروف التى لم ينطق بها الرعاة والمستمعون بجوار الفلاة إلى أصوات السباع .

* * *

وإن هذه التعليلات لتذهب مذاهبها من الظن المقبول أو المردود ، ولكنها تنتهى إلى حقيقة تعلو على الظن ، وهى أن النطق الفصيح فضيلة الحيوان الناطق وأن الفصاحة العربية قد بلغت بأداة النطق الآدمية غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف .

لغة التعبير

يقال عن الشاعر البليغ إنه هو الشاعر الذى نعرفه من كلامه ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ؛ لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء ، ومتى عرفنا من كلامه ما يحب وما يكره وما يرتضيه وما ينكره ، وما يحرك طبعه وفكره أو يمر بهما